الهوية البشرية وأخلاقيات البيولوجيا في فلسفة ديفيد ديجرازيا

Human Identity and Bioethics in David DeGrazia's Philosophy

هناء صبري محمد عبدالناصر

مدرس فلسفة معاصرة

كلية الآداب – جامعة الفيوم

الملخص العربي:

يلقي هذا البحث الضوء على أخلاقيات البيولوجيا في فلسفة الفيلسوف الأمريكي المعاصر ديفيد ديجرازيا (١٩٦٩ –) وعلاقة الهوية البشرية بالتحسينات الوراثية والأخلاقية، حيث يتناول العديد من القضايا الفلسفية الهامة ومنها: أخلاقيات الإجهاض والإنجاب والتحسين الوراثي والخُلقي.

يتبني ديجرازيا وجهة النظر البيولوجية والتي تستند على أننا في الأساس حيوانات أو كائنات بشرية، لذا يجب فهم أصولنا ومعايير هويتنا العددية أي استمرار وجودنا بمرور الوقت من منظور بيولوجي. ويعرض ديجرازيا للحجج المختلفة المؤيدة للإجهاض والمناهضة للإجهاض ووجهة نظرة الفلسفية.

يفرق ديجرازيا بين التحسين الوراثي والأخلاقي والعلاج الطبي، مؤكدا أنه لا يوجد خطأ في التعامل مع التحسين الوراثي أو الأخلاقي طالما أن هناك تنظيمًا معتدلًا يقلل من مخاطر التحسين الوراثي والخُلقي على المدي الطويل.

Abstract:

This paper sheds light on bioethics in the philosophy of the American philosopher David DeGrazia (1969 -) and the relationship of human identity to genetic and ethical enhancements. It deals with awareness of important philosophical issues, including the ethics of abortion and reproduction and genetic and moral enhancements.

DeGraZia adopts the biological point of view, which is based on the fact that we are fundamentally animals or human beings. Therefore, our origins and criteria for numerical identity, that is, our continued existence over time, must be understood from a biological perspective. Degrazia presents various pro-abortion and anti-abortion arguments and a philosophical viewpoint.

Degrazia differentiates between genetic and moral enhancements and medical therapy, stressing that there is nothing wrong with dealing with genetic or moral enhancements as long as there is a moderate regulation that reduces the risks of genetic and moral enhancements in the long term.

مقدمة :

يقول الفيلسوف الأمريكي المعاصر ديفيد ديجرازيا (١٩٦٢-) في كتابه " أخلاقيات الخلق" : " يتمثل الهدف العام ... في إلقاء الضوء على مجموعة من القضايا الأخلاقية المرتبطة بالإنجاب البشري وعلم الوراثة البشري من خلال عدسة الفلسفة الأخلاقية "[1].

يرتبط وجود الأخلاق بوجود الإنسان وفي ظل التقدم العلمي وما نشهده من ثورات علمية وخصوصًا في مجال البيولوجيا من هندسة وراثية والسعي إلى التحسين الوراثي والأخلاقي للإنسان جينيا، فقد بدأ فلاسفة الأخلاق يتناولون مثل هذه القضايا العلمية من الزاوية الأخلاقية لما تثيره من إشكاليات خطيرة تواجه الإنسان. فقد بدأت المخاوف تتزايد مع إجراء المزيد من التجارب العلمية التي قد تهدف إلى محاولات الدمج بين الإنسان والحيوان بشكل ما أو التجارب العلمية على الأجنة وما يرتبط بها من أبحاث الخلايا الجذعية الجنينية أو أبحاث الاستنساخ العلاجي، والخوف من تعالى الأصوات العلمية وتسارع مثل هذه التجارب دون مراعاة للأخلاقيات تحت مسمى الحرية العلمية للبحث العلمي. وهكذا، يتناول هذا البحث الرؤية الفلسفية للأخلاق البيولوجية للفيلسوف الأمريكي ديفيد ديجرازيا من خلال ربطه بين الهوية البشرية والأخلاق البيولوجية، ويمكن تحديد رؤيته الفلسفية من خلال الإجابة على التساؤل الفلسفي التالي: هل يمكن الاستمرار في أبحاث الأجنة والتحسين الوراثي والأخلاقي في حال تهديدها للهوية البشرية؟ وهل يشكل التحسين

(1) David DeGrazia. (2012). Creation Ethics: Reproduction, Genetics, and Quality of Life, Oxford: Oxford University Press, P. 4.

الـوراثي تهديـدات غيـر مقبولـة أخلاقيـا علـى الطبيعـة البشـرية؟ وبالتـالي تتحـدد أهمية البحث في كونه محاولة للإجابة عن التساؤلات الفلسفية التالية:

١- ما العلاقة بين الهوية العددية وأخلاقيات البيولوجيا؟

٢- على ماذا يتوقف الإجهاض أخلاقيا؟

٣- هل التحسين الوراثي إشكالية أخلاقية لارتباطه بالهوية البشرية؟

٤- ما العلاقة بين التحسين الوراثي وتهديد الطبيعة البشرية؟

٥- هل من الجائز التحكم في أخلاق البشر من خلال التحسين؟

ومـن ثـم، تحـاول الباحثـة تقـديم إجابـات عـن هـذه التسـاؤلات مـن خـلال الاعتمـاد علـي المـنهج التحليلـي النقـدي المقـارن، موضـحة رؤيـة الفيلسـوف تجـاه العلاقـة بـين الهويـة البشـرية وأخلاقيـات البيولوجيـا وتحليـل أنـواع الهويـة، ومفهـوم التحسين الوراثي والخلقي واختلافهم عن العلاج الطبي.

ينقسـم البحـث إلـى مقدمـة وأربعـة مباحـث وخاتمـة مذيلـة بقائمـة المصـادر والمراجع التي اعتمدت عليها الباحثة :

أولا : الهوية العددية والهوية السردية.

ثانيا : أخلاقيات الإجهاض.

ثالثا : أخلاقيات الإنجاب.

رابعا : أخلاقيات التحسين الوراثي والخُلقي.

خامسا : الخاتمة.

أولا: الهوية العددية والهوية السردية:

يـرتبط وجودنـا الإنسـاني بهويتنـا الإنسـانية، ولكـن أي هويـة إنسـانية؟ هـل الهويـة الثابتـة وراء كـل التغييـرات التـي تطـرأ علـى الإنسـان ؟ أعنـي الهويـة التـي تؤكـد علـى كـون الـذات الإنسـانية هـي نفسـها عبـر كـل الأوقـات المختلفـة، وتكـون جوابًا للسـؤال التـالي: مـا معـايير اسـتمرار وجـود الشـخص بمـرور الوقـت؟ مـا الـذي يجعـل الشـخص نفسـا واحـدة مـع مـرور الـزمن؟ أم الهويـة التـي تكـون جوابًـا لسـؤال آخـر عـن : مـن أكـون؟ لقـد تنـاول ديجرازيـا إشـكالية الهويـة الإنسـانية لارتباطهـا بالأخلاقيـات: هـل تتغيـر هويتنـا الإنسـانية بمـا يطـرأ فـي مجـالات الطـب الحيـوي مـن تحسـينات للـذات الإنسـانية سـواء تحسـين طبـي للجانـب البيولـوجي أو الجانـب الأخلاقـي؟ هـل تبقـي هويتنـا الإنسـانية فـي ظـل هـذا التقـدم العلمـي كمـا هـي أم قـد توجـد كائنـات بشـرية لهـا هويـة مختلفـة تمامـا عنـا وتمتـاز بخصـائص تجعلهـا تتفـوق علينـا وتمثـل تهديـدا لوجودنـا البشـري؟ هكـذا، تطـرح فلسـفة ديجرازيـا رؤية محددة واضحة عن مفهوم الهوية وعلاقتها بالأخلاق التطبيقية.

وهكـذا، يجـب أولا تعريـف : مـا هـي الهويـة؟ هـي لفـظ مشـتق مـن الهـو كمـا تشـتق الإنسـانية مـن الإنسـان. وهويـة الشـيء هـي عينيتـه وتشخصـه وخصوصـيته التـي نـدركها بـالجواب عـن السـؤال " مـا هـو؟"[٢]. وتعـرف الهويـة بأنهـا ذات الكائن من جهة ما هو هو، أو من جهة ما هو ذاته برغم التغير، أو من جهة ما يتفرد به في الوجود فيتميز عن غيره، تعني الهوية عند هيوم ثبات

(٢) جلال الدين سعيد: معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، دار الجنوب ، تونس، ٢٠٠٤، ص ٤٩٤.

الانطباعات وتشابهها في أزمنة متباينة الأمر الذي يدفعنا إلى القول بإن كل انطباع مماثل للآخر[٣].

يفضل ديجرازيا مصطلح الهوية البشرية human identity على مصطلح الهوية الشخصية personal identity، أننا في الأساس حيوانات بشرية وتتجسد هويتنا البشرية في تماثل الحياة البيولوجية لدي البشر جميعا، وينكر كوننا في الأساس أشخاصًا أو عقولًا. فمن جهة، يرفض ديجرازيا وجهة النظر الشخصية في تفسير الهوية البشرية واصطلاح الهوية الشخصية، ومن جهة أخري ، يتبنى وجهة النظر البيولوجية أو الحيوانية في تفسير الهوية الشخصية، ولهذا يجب توضيح كل من وجهتي النظر لفهم جانبا مهما من فلسفة ديجرازيا.

١ – وجهة النظر النفسية في تفسير الهوية:

إن وجهة النظر النفسية هي النهج الذي تتبعه نظريات مختلفة تفهم الهوية الشخصية بوصفها الاستمرارية النفسية، وهذا يعني توقف هويتنا العددية وفقا لمذهب الشخصية personalism على شكل من أشكال الاستمرارية النفسية خلال الزمن[٤]، ويعتبر جون لوك وديريك بارفت من أشهر المدافعين عنها.

يرى لوك أن الهوية الشخصية تكمن في " الوعي نفسه"، وبتعبير أدق تكمن في استمرارية التاريخ العقلي خلال الزمن حيث ترتبط لحظات الوعي الحالية والماضية بالذاكرة، أي أن الإنسان يدرك أنه ذات واحدة على الرغم من

---

(٣) مراد وهبة : المعجم الفلسفي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٦، ص ٧٦٢.

(4) David DeGrazia. (2005). *Human Identity and Bioethics*, Cambridge: Cambridge University Press, P.73.

الاختلافات التي تطرأ علي شخصيته خلال الفترة الزمنية التي يحياها بسبب وعيه العقلي المرتبط بذاكرته التي تجمع له كل لحظات حياته منذ ميلاده حتى اللحظة الحالية، وبذلك يخالف التقليد الفلسفي الذي يرجع الهوية الشخصية إلى تماثل الجوهر sameness of substance، فمن جهة، يعتقد أصحاب المذهب العقلي – مثل ديكارت – بأن كل إنسان " شيء يفكر" أي روح أو جوهر غير مادي ويستمر الإنسان كيانا واحدا مهما مرت شخصيته بتغيرات مادامت الروح متشابهة واحدة ثابتة. ومن جهة أخري، يعتقد أصحاب المذهب المادي بأن الأشخاص جواهر مادية أو أجسام بشرية أو أمخاخ وتكمن الهوية في استمرار الجوهر المادي(٥).

وهكذا، يرفض لوك الاقتراح القائل بإن الهوية تكمن في تشابه الجوهر سواء كان جوهرًا ماديًا أو غير مادي، لأن وجهة النظر القائمة على الجوهر تفشل في تفسير معرفة الذات لأنها لا تستطيع تقديم إجابة للتساؤل: كيف يمكن للإنسان معرفة ذاته؟ فهل يعرف الإنسان أنه جوهر ويعرف نوع الجوهر لديه، وهل تقدم معرفته لكونه جوهرا معرفة ذاته الإنسانية الثابتة وراء التغيرات؟ وفقا لجون لوك تفشل فشلا واضحا في تقديم معرفة الذات المتعلقة بالهوية علي خلاف الهوية الشخصية القائمة على وعي الإنسان بنفسه المرتبط بالحالة العقلية والذاكرة الإنسانية.

وبالتالي، يحدد لوك الهوية الشخصية في الوعي حيث إن الوعي يصنع الهوية الشخصية(٦)، يصاحب الوعي التفكير دائما وهو ما يجعل الشخص يمتلك الذات ويميزه عن كل الأشياء الأخرى التي يفكر فيها، وبذلك تتكون

(5) Ibid, P.13-14.
(6) John locke.(1999). An Essay Concerning Human Understanding, The Pennsylvania state University, P.319.

الهويـة الشخصـية مـن تماثـل الكـائن العقلانـي: وبقـدر مـا يمكـن أن تمتـد الـوعي إلـى الـوراء أي إلـى أي فعـل أو فكـر سـابق، فإنـه يصـل إلـى هويـة ذلـك الشـخص أي الذات نفسها(٧).

ويؤيـد تصـور الهويـة الشخصـية الفيلسـوف ديريـك بارفـت حيـث يتوقـف وجـود الشـخص لديـه علـى وجـود المـخ والعقـل فقـط ووقـوع سلسـلة مـن الأحـداث الجسـدية والعقليـة المترابطـة، وإذا كـان وجـود الشـخص يسـتحيل بـدون الجسـد إلا أن هويتـه الشخصـية خـلال الـزمن تعتمـد علـي علاقاتـه النفسـية وفـي ذلـك الصـدد يقـول: " تـدخل معظـم العلاقـات المهمـة ضـمن نطـاق الاسـتمرارية النفسـية psychological continuity المشـتملة علـى الاسـتمرارية السـببية. وبالتـالي أعتقـد أننـا نسـتخدم لغـة الهويـة الشخصـية للإشـارة إلـى مثـل هـذه الاسـتمرارية... إن الاستمرارية النفسية توفر معيارا للهوية "(٨).

يـرى بارفـت أنـه إذا كانـت الاسـتمرارية الجسـدية ضـرورية للهويـة الشخصـية، فإنـه لا يقصـد بهـا اسـتمرارية الجسـد كلـه ولكـن اسـتمرارية المـخ، يمكـن مـع التقـدم العلمـي فـي مجـال الطـب زرع أعضـاء الجسـم وبترهـا واسـتبدال أو فقـد أجـزاء مـن الجسـم ولكننـا لازلنـا مسـتمرين ولنـا هويـة شخصـية، أمـا وضـع المـخ مختلـف تمامـا فقـد نفقـد جـزءًا منـه ونبقـي علـى قيـد الحيـاة ولنـا هويـة شخصـية لأن المـخ لا يـزال يـدعم الاسـتمرارية النفسـية، ولكـن فـي بعـض الأحيـان قـد لا يـدعم المـخ أي شـكل مـن أشـكال الاسـتمرارية النفسـية ومـن ثـم لـن يحـافظ علـي الشـخص كذات واحدة مستمرة.

(7) Ibid,P.319.
(8) Derek Parfit ." *Personal Identity* ", The Philosophical Review, Vol.80, No.1 (Jan.,1979),PP.3-27, P.11-12.

أ- مميزات وجهة النظر النفسية[٩]:

١- يتوافق هذا النهج مع افتراضنا بأن لدينا معرفة بهويتنا خلال الزمن، وتعتبر الذاكرة والتوقع من مصادر معرفتنا بهويتنا بالإضافة إلى كونهما من مكونات هويتنا. علي النقيض من ذلك، إذا تكونت هويتنا من تشابه الجوهر الروحي فإن معرفة هوية المرء ستكون غامضة.

٢- يتوافق هذا النهج مع معظم حدسنا حول الهوية فما يحدد الهوية الشخصية الاستمرارية النفسية للشخص، فإذا افترضنا القيام بزرع مخ شخص ما في جسد شخص آخر، فإن المخ سيجلب معه الهوية الشخصية لصاحبه وما يحمله بداية من الهوية التعريفية وصولا إلى ذكريات الحياة ولا أثر يذكر لهوية صاحب الجسد.

٣- يتناسب الإيمان بالحياة الآخرة مع النظريات النفسية. يعتقد من يؤمن بوجود الحياة الآخرة أن استمرار الحياة العقلية للفرد بعد موته – سواء بجسد أو بدون جسد – يستلزم بقاء الشخص ذاته ونفسه دون غيره من البشر وكأنها تحمل البصمة الشخصية للذات الإنسانية، وبينما قد يفترض المفكر التقليدي أن الروح هي وسيلة ضرورية للاستمرارية النفسية بعد الموت، فيبدو أن تشابه الحياة العقلية هو الشرط الأكثر بروزا أو حاسما للبقاء الشخصي.

ب- نقد وجهة النظر النفسية:

يرفض ديجرازيا تصور وجهة النظر النفسية في تفسير الهوية البشرية ويستند رفضه علي ما يلي[١٠]:

(9) David DeGrazia. *Human Identity and Bioethics*, P.19-22.
(10) Ibid, P.24.

١- لا ترتبط هويتنا العددية أي بقاءنا على قيد الحياة بالاستمرارية النفسية على الإطلاق، قد يصاب الإنسان بالاضطراب النفسي ويفقد كل صلة بماضيه ولا يستطيع أحد إنكار هويته العددية، بل الأكثر من هذا لا ننكر على المصاب بالجنون هويته العددية . حقا نحن كائنات عقلية لديها القدرة على الوعي لكن لا تكمن في الاستمرارية العقلية أو النفسية هويتنا العددية.

٢- وجهة النظر البيولوجية عند ديجرازيا:

تؤكد النظرة البيولوجية أننا في الأساس حيوانات بشرية ذات ظروف بيولوجية ثابتة، يعتمد استمرارنا في الوجود على استمرار الحياة البيولوجية فقط دون غيرها من أشكال الحياة الأخرى مثل الحياة النفسية. يبحث ديجرازيا عن معايير للهوية التي يحدد أصلنا ونوعنا الأساسي ويضرب مثالا توضيحيا لما يقصده فإذا سألنا شخص ما: من أنت ؟ وجاء الجواب أنا حيوان وشخص ورجل وأب وعالم. يجب ملاحظة أن " أبا وعالما " لا يعتبران من معايير هويته العددية حيث يمكن لأي شخص في الوجود الاستمرار في البقاء دون أن يكون أبا أو عالما، ولكن ما يحدد هويته العددية كونه حيوانا بشريا حيا ويقول ديجرازيا مؤكدا وجهة نظره : " نحن البشر حيوانات بشرية حية " [١١]، فإن استمرار حياة حيوان بشري معين شرط استمراره وكونه حيواناً بشرياً حياً هو أصلها وجوهرها. يعبر ديجرازيا عن ذلك بالصورة التالية: " س خاصية أساسية للشيء إذا كان وجود الشيء متوقفاً عليها ، أي لا وجود للشيء بدون

(11) Ibid, P.28.

الخاصية س. إذا كانت الخاصية س ضرورية وكافية لوجود الشيء فإن س جوهر هذا الشيء"[١٢].

يتمثل الجانب الثاني من الإطار النظري عند ديجرازيا في تفسيره للهوية السردية narrative identity، ففي حين كوننا في الأساس حيوانات بشرية يعتمد استمرارها على استمرار الحياة البيولوجية إلا أننا لدينا الكثير أننا رواة لذواتنا، نفكر في حياتنا وكيف تتكشف وكيف نريدها أن تتكشف، نريد أن نكون قادرين على توجيه مسار حياتنا وخلق أنفسنا بمعني لعب دورا رئيسيًا في تحديد ما نفعله وما نحن عليه. تعد عملية خلق الذات self-creationتعبيرًا عن الاستقلالية السمة التي تكون جزءا مهما من كونك إنسانا. يرى ديجرازيا أن القدرات على السرد الذاتي وخلق الذات والاستقلالية جزءا من تعريف الشخصية ويرتبطان باستمرارنا كأشخاص[١٣].

تعتبر الهوية العددية شرطًا مسبقًا للهوية السردية، حيث يتطلب السرد الذاتي وخلق الذات والاستقلالية كيانًا أساسيًا يروي ويخلق ويعمل وهذا الكيان هو الحيوان البشري. يمكن أن يفقد الإنسان القدرة على السرد أو خلق الذات وربما يتوقف عن كونه شخصا دون أن يتخلى عن وجوده وبقائه، لكن في حال توقف الإنسان عن كونه حيوانا بشريا فقد خرج من دائرة الوجود يقول توضيحا لوجهة نظره: " نحن البشر حيوانات بشرية ولكن لسنا أشخاصا طوالًا وجونا... مع ذلك لا يمكننا الاستمرار في الوجود بوصفنا أشخاصًا مالم نستمر في الوجود، تفترض لهذا السبب الهوية السردية هوية عددية "[١٤]. وهكذا، فإن

(12) Ibid, P.29.
(13) Marya Schechtman." *David DeGrazia, Human and Bioethics , Human Identity and Bioethics by David DeGrazia*, Ethics, Vol.116,No.2(Jan., 2006),PP. 406-409,P. 406.
(14) David DeGrazia. *Human Identity and Bioethics*, P.13-14.

الأشـــخاص البشـــريون هـــم: (١) حيوانـــات بشـــرية بشـــكل أساســـي. و (٢) رواة ذاتيون يخلقون أنفسهم(١٥).

وبالتـالي، الهويـة السـردية هـي إحسـاس المـرء بنفسـه بوصـفه بطـلًا لقصـة حياتـه أو سـرده لذاتـه. يسـاعدك إحساسـك بنفسـك علـى تحديـد مـا يسـتحق فعلـه وأي مـن الخصـائص تخصـك . وفـي الوقـت نفسـه، فـإن خلـق الـذات هـو التشـكيل القصـدي والـواعي لخصـائص الفـرد واتجـاه حياتـه. تتبـع مشـاريع الإبـداع الـذاتي مـن الهويـة السـردية وأثنـاء قيامهـا بـذلك تسـتمر فـي الكتابـة وتحريـر الروايـات التـي تتدفق منها(١٦).

ثانيا: أخلاقيات الإجهاض:

تعتبـر أخـلاق الإجهـاض مـن أكثـر الموضـوعات إثـارة للجـدال ويرجـع ذلـك لطبيعتهـا الشـائكة، فهـل الإجهـاض مسـموح بـه علـى الإطـلاق أم يسـمح بالإجهـاض المبكـر ولا يسـمح بالإجهـاض إذا كانـت الأم فـي مراحلـة متـأخرة مـن الحمـل؟ وهـل يجـب تنـاول الإجهـاض مـن المنظـور الـديني أم يـتم وضـع قواعـد أخلاقيـة عامـة لا تـرتبط بالـدين تـنظم الإجهـاض؟ يتنـاول العديـد مـن فلاسـفة الأخـلاق هـذه الإشـكالية بعيـدا عـن المنظـور الـديني بحثـا عـن وضـع قواعـد أخلاقيـة عامـة تـنظم إشـكالية الإجهـاض، وهـذا مـا يحـاول ديجرازيـا القيـام بـه مـن خلال تناوله لأخلاقيات الإجهاض.

يوضـح ديجرازيـا رفضـه تنـاول الإجهـاض مـن المنظـور الـديني حيـث إنـه لا توجـد حججًـا دينيـة مقنعـة وعليهـا اتفـاق عـام بـين الجميـع ويؤكـد موقفـه قـائلا: " لا توجـد أطروحـات دينيـة مقنعـة يسـتحيل إنكارهـا وهـذا يعنـي أنـه إذا كانـت بعـض

(15) Ibid , P.14.
(16) Ibid , P.106.

الأطروحات الدينية صحيحة، ليس من المتوقع تبني الجميع لها على أساس الأدلة المتاحة للجميع. يجب أن تكون الحجة المقنعة عن الإجهاض حجة أخلاقية تتبع من افتراضات من غير المعقول إنكارها. وبالتالي، فإن أي حجة مقنعة ضد الإجهاض يجب أن تكون مقنعة بعبارات غير دينية " [١٧].

يجدر هنا التوقف عند أشهر الحجج المناهضة للإجهاض وأشهر الحجج المؤيدة للإجهاض، وفي هذا الإطار أكتفي بعرض حجة مستقبل مثلنا بوصفها من أشهر الحجج المناهضة للإجهاض وحجة السامري الصالح بوصفها أشهر الحجج المؤيدة للإجهاض.

أ- مؤيدو الحياة وحجة مستقبل مثلنا: the future-like-ours

يعتبر الفلاسفة وعلماء الأخلاق البيولوجية حجة مستقبل مثلنا من أقوى الحجج غير الدينية ضد الإجهاض والتي قدمها دونالد ماركيز بهدف وضع أساس أخلاقي لرفض الإجهاض. تستند هذه الحجة على فكرة مقارنة وضع الجنين بوضعنا أخلاقيا لو تعرضنا للقتل وإنهاء حياتنا، من غير المسموح أخلاقيا قتل أي شخص لأنه سيحرم من تحقيق مشاريعه الشخصية ومتعته وأنشطته وتجاربه التي ستجعل من حياته حياة ذات قيمة كبيرة، ومن ثم يعتبر قتل أي شخص جريمة مروعة. فمن المنطلق نفسه سيحرم الإجهاض الجنين – سواء في المرحلة المبكرة أو المتأخرة من الحمل – من مستقبل ثمين مثل مستقبلنا، فكما حصلنا على فرصتنا في الحياة يجب على الأجنة الحصول على فرصتهم في الحياة كي يحيوا مثلنا تماما.

(17) Ibid , P.280.

يوضح ماركيز حجته قائلا : " يجرم تفسير قيمة المستقبل عمليات القتل لأن حرمان الفرد من جميع طيبات الحياة التي كان سيختبرها إذا لم يتعرض للقتل يجعل هذا القتل خطأ، كما أن الأطفال والكبار الأبرياء لديهم مثل هذا المستقبل القيم. وبناء علي ذلك، طالما أن الأجنة لها مستقبل كبير مثل مستقبلنا فإن إنهاء حياتهم أمر خاطئ تماما" [١٨]. هكذا، يرى ماركيز أن وجهة نظر قيمة المستقبل مقبولة لأنها تضع القتل ضمن فئة الضرر، حيث تقوم القاعدة العامة للحياة الإنسانية على احتواء الحياة الأقصر على عدد أقل من خيرات الحياة مقارنة بالعمر الأول، يضر قتل شخصًا ما بهذا الشخص لكون حياته أصبحت أقصر، لأن قتل الإنسان يزيد حياته ضررا.

تقوم هذه الحجة الأخلاقية على مبدأ أخلاقي عام هو: " من الخطأ الجسيم إنهاء حياة بشرية " أو " من الخطأ الجسيم إنهاء حياة طفل " ، يوضح ماركيز حجته قائلا: " إن الإجهاض غير أخلاقي باستثناء حالات نادرة، يعد الإجهاض مسألة خطيرة للغاية تماثل الفئة الأخلاقية لقتل إنسان بالغ برئ "[١٩]، يهدف المناهضون للإجهاض لإيضاح موقفهم القائم على فكرة أن الحياة موجودة منذ لحظة الحمل أو أن الأجنة مثل الأطفال أو تمتلك الأجنة خاصية مثل الشفرة الجينية الضرورية والكافية ليكون إنسانًا[٢٠]، وطالما أن الجنين يمتلك الحياة منذ اللحظة الأولى من الحمل فإن إجهاضه يعني القتل، ومن ثم الإجهاض أخلاقيا يشبه القتل وهو أمر مرفوض تماما أخلاقيا.

(18) Donald Marquis. *" Why Abortion is Seriously Wrong : Two Views "*, The Journal of Philosophy, Apr., 1989,Vol.86,No. 4,PP. 183-202, P. 183.
(19) Ibid, P.4.
(20) Donald Marquis. *" Why Abortions is Immoral ",* The Journal of Philosophy, Apr., 1989,Vol.86,No. 4,PP. 183-202, P. 183.

يـرفض ماكماهـان حجـة مسـتقبل مثـل مسـتقبلنا وفقـا لوجهـة نظـره عـن العقـل المجسـد والتـي تسـتند علـى فكـرة أننـا كائنـات فـي الأسـاس لهـا القـدرة علـى الـوعي، ولـذلك لا يمكـن أن يتسـاوى مسـتقبل الجنـين بمسـتقبلنا مـن حيـث القيمـة لأن أغلـب الأجنـة التـي تـم إجهاضـها لـم يكـن لهـا مسـتقبل مثـل مسـتقبلنا، لأن القـدرة علـى الـوعي لا تظهـر إلا فـي المرحلـة المتـأخرة مـن الحمـل ومعظـم حـالات الإجهـاض تـتم فـي الشـهور الأولـى مـن الحمـل ومـن ثـم فـإن عمليـات الإجهـاض لا تقتل الكائنات التي لها مستقبل ثمين[٢١] مثل مستقبلنا.

ب- حجة السامري الصالح: the good Samaritan argument

تعـد حجـة السـامري الصـالح مـن أكثـر الحجـج عبقريـة فـي أدبيـات الإجهـاض، تـدعي أن الإجهـاض مسـموح بـه حتـى إذا كـان للأجنـة الحـق فـي الحيـاة. قـدمت الحجـة جوديـث جـارفيس طومسـون وطورهـا ديفيـد بـونين، تفتـرض التجربـة الفكريـة الشـهيرة اسـتيقاظك علـى وجـودك فـي مستشـفى متصـل بعـازف كمـان يعـاني مـن مـرض الكلـى وفرصـة نجاتـه تتمثـل فـي بقائـك معـه فـي سـرير المستشـفى لمـدة تسـعة أشـهر حيـث إنـك الشـخص الوحيـد الـذي يمتلـك فصـيلة الـدم المناسـبة التـي يحتاجهـا عـازف الكمـان للبقـاء حيـا وفـى حـال رفضـك البقـاء ملتصـقا بـه فـي المستشـفى يفقـد حياتـه، تثبـت التجربـة الفكريـة حـق الحيـاة لعـازف الكمـان وتثبـت فـي الوقـت نفسـه عـدم اضـطرارك علـى تحمـل هـذا العـبء الكبيـر لإنقـاذ حياتـه، حيـث تعتبـر مسـاعدة السـامري الصـالح لعـازف الكمـان أمـرًا

(21) David DeGrazia. *"The Harm of Death, Time- Relative Interests, and Abortion"* , The Philosophical Forum, Inc, 2007 , P. 70.

يستحق الثناء ولكنها مساعدة تتجاوز نداء الواجب[٢٢]. إن حق الحياة لدي عازف الكمان لا يشتمل استخدام كليتيك وبالتالي لا يوجد تعارض بين حقوقك في الحرية وسلامة الجسد وحقه في الحياة ومن حقك رفض استمرارك في هذا الوضع ومغادرة المستشفى حتى إذا كان نتيجة ذلك وفاة عازف الكمان. وهكذا، تقرر حجة السامري الصالح أنه حتى لو كان للجنين الحق في الحياة طوال فترة الحمل، فإن الحمل غير المرغوب فيه يشبه إلى حد كبير السيناريو الذي يشملك أنت وعارف الكمان : يماثل قرار إنهاء الحمل بالإجهاض قرار عازف الكمان بمغادرة المستشفى.

ج- وجهة نظر ديجرازيا في الإجهاض:

يطرح ديجرازيا إشكالية الإجهاض من خلال مجموعة من تساؤلات حول الوضع الأخلاقي للبشر قبل الولادة ومنها : هل يتمتع البشر قبل الولادة بوضع أخلاقي؟ متي يتمتع البشر قبل الولادة بوضع أخلاقي؟ هل للبشر قبل الولادة الحق في الحياة بحيث لا يجوز قتلهم؟ إذا كانوا يفتقرون إلى الحق في الحياة، هل يؤسس وضعهم التزاًما أخلاقًيا بعدم تدميرهم لأغراض تافهة؟[٢٣].

يقدم ديجرازيا إطارا ثلاثيا يهدف إلى تقديم فهم للوضع الأخلاقي قبل الولادة، ودعم وجهات النظر الليبرالية حول الإجهاض وأبحاث الأجنة يتكون هذا الإطار مما يلي[٢٤]:

١- وجهة النظر حول هويتنا العددية وجوهرنا وأصولنا.

٢- تفسير أهمية الإحساس للوضع الأخلاقي.

٣- التفسير الزمني للمصالح النسبية للضرر الناتج عن الموت.

(22) David DeGrazia. Human Identity and Bioethics, P. 283.
(23) David DeGrazia. Creation Ethics , P. 17.
(24) Ibid, P. 17.

أ- وجهة نظر الإحساس: **the sentience view**

يطرح ديجرازيا معيارا هاما يحدد من خلاله من له الحق في الوضع الأخلاقي، حيث يؤكد على أنه لا يتمتع الكائن البشري بمفرده بالوضع الأخلاقي ولا تمتلك كل الكائنات الحية وضعا أخلاقيا، إذن ما المعيار الذي يحدد من يتمتع بالوضع الأخلاقي الكامل؟ وهنا يبرز الإحساس بوصفه المعيار لتمتع أي كائن بالوضع الأخلاقي طالما لديه إحساس. وهكذا، أن القدرة على الإحساس تعد كافية لتحقيق المصالح والوضع الأخلاقي، وفقا لهذا الرأي الكائنات التي تتمتع بالإحساس - من هم قادرون على الشعور- هي الكائنات التي لها مصالح ويمكن أن تتضرر أو تستفيد[٢٥].

يعتبر ديجرازيا أن التفسير الزمني للمصالح النسبية للضرر الناتج عن الموت ردا مهما على حجة مستقبل مثلنا التي يدعمها مؤيدو الحياة ففي الرد على السؤال : كم يتضرر المرء من الموت؟ يجب تحديد حجم الضرر الناتج عن الموت مقارنة بمقدار الحياة الجيدة التي يخسرها المرء بموته (تقدر الحياة الجيدة من حيث نوعية الحياة ومدة الحياة). إذا نظرنا لموقف مؤيدي الحياة من يتبنون حجة مستقبل مثلنا نجدهم يقررون أن للجنين مستقبلاً مثل مستقبلنا مما يجعل الإجهاض مشابها لقتل الأشخاص النموذجيين، تفترض الحجة أن الجنين يمكنه التطور إلى شخص نموذجي والعكس صحيح أيضا كان كل واحد منا جنينا[٢٦].

---

(25) Ibid, P. 28.

(26) Ibid, P. 35.

يؤكد ديجرازيا أن قبول التفسير الزمني للمصالح النسبية للضرر الناتج عن الموت يدعونا إلى رفض حجة مستقبل مثلنا لأنها غير صحيحة، حيث تفترض الهوية العددية هي الأساس الوحيد للأمور الأكثر أهمية في وجودنا، مما يشير إلى أن تقييم مستقبل الجنين يتم من منظور مدى الحياة. من هذا المنظور، يؤدي الإجهاض إلى خسارة فادحة خسارة مستقبل مثل مستقبلنا، ومن ثم تستنتج حجة مستقبل مثلنا أن الاعتبار الأساسي الكامن وراء خطأ قتل الأشخاص النموذجيين ينطبق أيضا في حالة الإجهاض، لكن هذا غير صحيح لأن الأجنة وخاصة الأجنة التي لم تصل إلى الإحساس – التي تمثل الغالبية العظمى من حالات الإجهاض – لها مصالح ضعيفة مرتبطة بالزمن للبقاء على قيد الحياة. وهكذا، حتى إذا كان للأجنة مستقبل مثل مستقبلنا، لا تبين حجة مستقبل مثلنا إمكانية مقارنة قتلهم بقتل شخص بالغ أو أن للأجنة الحق في الحياة[٢٧].

وبالتالي، يسمح ديجرازيا بإجهاض الجنين ولكن وفقا لمصلحته النسبية حيث إن الأساس الصحيح لتقدير الضرر الذي يلحقه الموت بالجنين الحالي هو التفسير الزمني للمصالح للبقاء على قيد الحياة لكن مصالح الجنين البشري ضعيفة جدا وأضعف من مصلحتك ومصلحتي بسبب غياب الوحدة النفسية[٢٨].

---

(27) Ibid, P. 35.

(28) David DeGrazia. *"The Harm of Death, Time- Relative Interests, and Abortion"* , P. 72.

ثالثا: أخلاقيات الإنجاب:

يناقش ديجرازيا أخلاقيات الإنجاب في محاولة منه للإجابة على التساؤلات التالية : هل من الخطأ أخلاقيا الإنجاب؟ هل هناك ضوابط أخلاقية تحكم إنجاب الأطفال؟ لقد وضع مجموعة من الأسس الأخلاقية التي تحدد ضوابط الإنجاب معارضا آراء بعض الفلاسفة الذين يعتقدون أن الإنجاب خطأ أخلاقي؛ حيث إن الوجود يحمل الضرر للإنسان وهذا ما ذهب إليه ديفيد بينتار حيث يرى أنه لا ينبغي علينا إنجاب أطفال، المجيء إلى الوجود ضرر جسيم.

يعد بينتار من أصحاب وجهة النظر المناهضة للإنجاب anti-natalist ، ولكنه لا يبني وجهة نظره المناهضة للإنجاب على كراهية الأطفال على العكس من ذلك من باب حرصه على تجنب الأطفال المحتملين والبالغين المعاناة الموجودة في حياتنا، يري بينتار أن التفكير في قرار الإنجاب نادرا ما يحدث، فلا يفكر معظم الناس في إذا ما كان ينبغي عليهم إنجاب طفل أم لا، ومن ثم يفتقر معظم البشر إلى ثقافة التخطيط للإنجاب، يوضح بينتار التوجه الغالب على البشرية بقوله : " عادة ما يكون الإنجاب نتيجة للجنس وليس نتيجة قرار جلب الناس إلى الوجود، من يقرر إنجاب طفل يفعل ذلك لعدد من الأسباب وليس من بينها مصالح الطفل المحتمل ... إن المرء لا يفيد الناس بإحضارهم إلى الوجود ولكن يضرهم دائما"[٢٩] .

يلخص بينتار حجته أن الوجود ضرر على النحو التالي: تحدث الأشياء الجيدة والسيئة للأشخاص الموجودين فقط، وهنالك عدم تناسق جوهري بين

(29) David Benatar.(2006) . *Better Never to Have Been : The Harm of Coming into Existence*, Oxford: Clarendon Press, P.15.

الأشياء الجيدة والسيئة. ويعد غياب الأشياء السيئة – مثل الألم –أمرًا جيدًا حتى إذا لم يوجد من يتمتع بالخير، على حين يعتبر غياب الأشياء الجيدة مثل السرور سيئا إذا كان هناك شخص محروم من هذه الأشياء الجيدة. تعني هذه الحجة ضمنيا أن تجنب السيء من خلال عدم الوجود إطلاقا ميزة حقيقية على الوجود ومعاناة الألم والمرض وما شابه ذلك، في حين أن فقد طيبات الحياة في حال عدم الوجود ليس عيبا حقيقيا على الإطلاق(٣٠).

يعارض ديجرازيا وجهة نظر بينتار ومضمونها أنه من الناحية الأخلاقية جميع خيارات الإنجاب حالات غير مشروعة لأن الوجود دائما ما يمثل ضررا كبيرا(٣١). يبني ديجرازيا معارضته لموقف بينتار على النحو التالي(٣٢):

١- يبين ديجرازيا أن الوجود ليس دائما ضارًا حيث إن معظم حياة البشر على الرغم من احتوائها على أضرار تحتوي على فوائد كافية لتعويض الأضرار.

٢- لا يتضرر أحد من الوجود مهما كانت حالته أو ظروفه سيئة، طالما أن تجنب العيب المقصود لا يتوافق مع ظهور الفرد على الإطلاق. لقد قدم ديجرازيا المثال التالي: إذا حملت الأم بطفل ومعلوم لدى الأبوين أنه لديه عيبا كبيرا يتمثل في إعاقة محددة وراثيا أو أن الأبوين مراهقين. لا يمكن القول في هذه الحالات إن الفرد المولود أسوء حالا

(30) Ibid, P.26-27.

(31) David DeGrazia. *"Is It Wrong to Impose the Harms of Human Life? A Reply to Benatar"* , Theor Med Bioeth, (2010), 31, PP.317-331, P.321.

(32) Ibid, P.317-321.

ممـا كـان عليـه لـو أنهمـا قـررا تـأخير الإنجـاب وهـو الخيـار المـرجح والمفضـل مـن الناحيـة الأخلاقيـة، لكـن مـا يترتـب علـى هـذا الخيـار مـيلاد فـرد متميـزا عـدديا غيـر الشـخص الـذي كـان سـيولد أي سـيختلف الشـخص، وهنـا يفضـل ديجرازيـا الوجـود أو المـيلاد ووجـود المشـكلة الوراثيـة أفضـل من عدم الوجود.

٣- تبنـي الفرضـية المتفائلـة optimistic thesis ومضـمونها أن معظـم حـالات الظهـور ليسـت حـالات غيـر مشـروعة، وأن المعيـار المناسـب للحيـاة التـي تسـتحق الاسـتمرار هـو المعيـار المناسـب لحيـاة تسـتحق البـدء أيضـا. قـد يعتقـد الـبعض أن الحيـاة بـدون طـرف ليسـت سـيئة للغايـة بحيـث تستحق الانتهاء، إنها حياة تستحق الاستمرار في العيش.

مـن جهـة، يضـع ديجرازيـا الشـروط الكافيـة للإنجـاب المسـموح بـه وهـي: لا يجـوز بـدء حيـاة إلا إذا كـان مـن المحتمـل اسـتمرارها، ووجـود سـبب وجيـه لتوقـع أن الفـرد الـذي سـيأتي إلـى الوجـود سـيقدر حياتـه ويسـتمتع بهـا ويشـعر بالسـعادة لكونـه علـى قيـد الحيـاة، مـع مراعـاة مـا يـدين بـه الآبـاء للأبنـاء مـن حيـاة تسـتحق العـيش و تلبيـة احتياجـاتهم الأساسـية والقيـام بالمزيـد مـن أجلهـم بـدون ادعـاء التضـحية مـن أجلهـم. ومـن جهـة أخـرى، يضـع الشـروط التـي يكـون الإنجـاب فيهـا غيـر مسـموح بـه وهـي: فـي حـالات الحيـاة غيـر المشـروعة والتـي يـتم التنبـؤ فيهـا بـأن الطفـل سـيحيا حيـاة مليئـة بالمعانـاة والخلـل الـوظيفي ولـن يعبـر عـن فرحـه بحياتـه ككـل[٣٣]، إنهـا الحيـاة التـي لا تسـتحق العـيش أي لا تسـتحق البـدء ولا تسـتحق الاسـتمرار. تعـد حـالات الحيـاة غيـر المشـروعة الظـروف الوحيـدة التـي يكـون فيهـا

(33) David DeGrazia. *Creation Ethics: Reproduction, Genetics, and Quality of Life*, P. 160.

الإنجاب خاطئ. وبالتالي، يرى ديجرازيا أنه من الخطأ الإنجاب في الحالات التي لا تستحق الحياة فيها، في حال كون الطفل سيعاني من الألم والمرض ولن يستمتع بحياته على الإطلاق، ولد كي يعاني فقط.

رابعا: أخلاقيات التحسين الوراثي:

يثير التقدم العلمي العديد من القضايا الفلسفية الأخلاقية المثيرة للجدل منها التحسين الوراثي للسمات البشرية – سواء تحسينات وراثية للجسد أو العقل– والتحسين الأخلاقي. تفهم التحسينات في سياق الطب الحيوي بوصفها تدخلات تهدف إلى تحسين أداء الإنسان أو شكله بما يتجاوز ما هو ضروري لاستعادة الصحة أو الحفاظ عليها، مما يعني أن التحسينات هي تدخلات لتحسين الأداء البشري أو الشكل الذي لا يستجيب لاحتياجات طبية حقيقية[٣٤]. وهكذا، يمكن القول إن التحسين تدخل متعمد يهدف إلى تحسين القدرة الموجودة أو اختيار قدرة مرغوبة أو إنشاء قدرة جديدة في الإنسان. والتحسين بهذا المعنى غير مقصور على الأفراد بل يشمل اختيار الأجنة. وبالتالي، لا يتوقف التحسين على التحسين الوراثي للبنية الجسدية أو العقلية للإنسان بل تخطى الأمر ذلك ليمتد إلى التحسين الأخلاقي moral enhancement باستخدام وسائل الطب الحيوي أي التحسين البيولوجي الأخلاقي moral bioenhancement [٣٥].

وبالتالي، هل يعد التحسين بهذا المفهوم نوعا من أنواع العلاج؟ يتعارض مفهوم التحسين مع العلاج : تفهم التحسينات بوصفها تدخلات مصممة

(34) Ibid, P. 62.

(35) David DeGrazia. *" Moral Enhancement Freedom, and What We (Should) Value in Moral Behaviour "*, Journal of Medical Ethics , Vol. 40, No.6, (June 2014), PP. 361-386,P.361.

لتحسين شكل الإنسان أو وظيفته دون وجود حاجة طبية حقيقية إلى ذلك إذن يختلف النظر إلى التدخل الجيني وفقا لحالة الفرد، يعد التدخل الجيني علاجا إذا هدف إلى تقليل آثار الخلل العضلي muscular s-tropy، ولكنه يعد تحسينا جينيا إذا هدف إلى زيادة العضلات increase muscularity لدى الفرد السليم صحيا. ومن ثم، تعد الجراحة التجميلية وصبغ الشعر وتكنولوجيا الجينات في المستقبل تحسين ذاتي وليس علاج لمرض طبي.

يطرح ديجرازيا سؤالين تدور حولهما إشكالية التحسين الوراثي وهما : ١- هل يعتبر التحسين الوراثي إشكالية أخلاقية لأسباب مرتبطة بالهوية البشرية؟ ٢- هل يشكل التحسين الوراثي تهديدًا أخلاقيًا للطبيعة البشرية ومن ثم على البشرية؟

يعتقد ديجرازيا أن التحسين الوراثي يرتبط بالهوية العددية، يري ديجرازيا أن الهوية العددية هي علاقة شيء ما مع ذاته خلال الزمن بحيث يبقي واحدا وذات الكائن. يقدم تفسير الهوية العددية معاييرًا لشيء من نوع معين للاستمرار في الوجود على الرغم من التغيير الذي يطرأ على الشيء. وهكذا، يخضع الشخص لتغييرات هائلة على مر السنين ومع ذلك ينعكس شخص واحد في كل هذه التغييرات التي حدثت. هل سيؤدي التحسين الوراثي إلى الحفاظ على هويتنا العددية أم قد يحدث فيها تغييرات جوهرية تخرجنا من طبيعتنا البشرية؟ أو بمعنى آخر هل التحسين الجيني يهدد الطبيعة البشرية؟

يطلب منا ديجرازيا تخيل شخصًا ما خضع لمجموعة من التحسينات الوراثية – مثل اكتساب مناعة ضد فيروس، نقص المناعة البشرية، و تنمية العضلات والتعلم، وتحسين الذاكرة، والتحسين المعرفي بشكل عام، وانخفاض الحاجة إلى النوم، وتأخير الشيخوخة – أي أصبح لديه مناعة ضد مرض

الإيدز ويتعلم سريعا وذاكرته أقوى وأفضل ....إلخ، لكنه يؤكد أن مثل هذه التحسينات الوراثية لا تهدد الطبيعة البشرية حيث إنها لا تحتاج إلى تجاوز الطبيعة البشرية، والسبب وجود بعض البشر يمتلكون هذه الميزات دون خضوع للتحسين الوراثي. فقد نجد بعض البشر يتمتعون بمناعة طبيعية ضد فيروس الإيدز و بعض البشر أطول عمرا من غيرهم وتتأخر مظاهر الشيخوخة في الظهور لديهم، وهكذا، لا تعتبر هذه التحسينات تهديداً للهوية العددية للبشر أو للطبيعة البشرية.

وهكذا، يضع ديجرازيا معيارين لما يعتبر تجاوز للطبيعة البشرية وهما: ١- أن يؤدي التحسين الوراثي إلى تغيير واسع المدي منتجا أفرادًا مختلفين تماما في النوع عن بقيتنا. ٢- أن يتجاوز التغيير المقصود الحدود البشرية النموذجية[٣٦]. ويقترح وجود نموذجين للبشر بعد دخول التحسين على الطبيعة البشرية وهما ما بعد البشر المحسنين enhanced post-humans وهو نوع جديد يختلف اختلافاً نوعيًا عن الإنسان العاقل بشكل كبير، ومن يخضع للتحسين الوراثي الأخلاقي يطلق عليه ما بعد الأشخاص post persons حيث يتم تمييزهم بوصفهم نوعًا جديدًا من الشخص الأخلاقي، وبالتالي، يتفق ديجرازيا مع الفرضية القائلة بإن التحسينات الوراثية تشكل تهديدا للطبيعة البشرية، حيث تتجاوز التحسينات الوراثية المتتالية عبر الأجيال التي أنتجت كائنات مثل ما بعد البشر وما بعد الأشخاص الطبيعة البشرية وتغيرها تماما وتوجد أنواع جديدة يمثلون قطيعة مع الطبيعة البشرية[٣٧].

(36) David DeGrazia. *Creation Ethics*, P. 82.
(37) Ibid, P. 82.

خامسا: التحسين الخُلقي:

يقصد بالتحسين الخلقي التدخلات التي تهدف إلى تحسين قدراتنا الأخلاقية مثل قدراتنا على التعاطف والإنصاف، بينما يتفق المعلقون على أن العديد من الوسائل التقليدية للتحسين الأخلاقي مثل التعليمات الصريحة ومجموعات رفع الوعي وسائل شرعية ومهمة، فإنهم يختلفون حول ما إذا كانت وسائل الطب الحيوي والوسائل غير التقليدية للتحسين الأخلاقي مرغوبة.

يقدم ديجرازيا بعض الأمثلة على الوسائل غير التقليدية للتحسين الخلقي ومنها[٣٨]:

١- الجلوكوز بوصفه وسيلة لزيادة مقاومة إغراء القيام بشيء خاطئ أو التوقف عن محاولة فعل ما يجب على المرء فعله.

٢- مثبطات امتصاص السيروتونين بوصفها وسيلة لتقليل الميل إلى الاعتداء على الناس.

٣- بروبرانولول بوصفه وسيلة لتقليل التحيز العنصري اللاوعي.

٤- اختيار الأجنة التي تمتلك شفرة وراثية من أجل استعداد أكبر للإيثار.

٥- اختيار الأجنة أو الهندسة الوراثية كوسيلة لتجنب أو تحييد الجينات المرتبطة باضطراب الشخصية المعادية للمجتمع.

٦- إعداد كروموسوم ذكي اصطناعي يتضمن ترميز جينات متعددة لإدخال مجموعة متنوعة من الفضائل الأخلاقية.

يجيب ديجرازيا في فلسفته على التساؤل المهم : لماذا نلجأ إلى التحسين الحيوي الخلقي ألا تكفي الوسائل التقليدية في تحسين الأخلاق؟ يرى

(38) David DeGrazia. *" Moral Enhancement Freedom, and What We (Should) Value in Moral Behaviour "*, P. 362.

أنــه فــي ضــوء التقــدم العلمــي والتكنولــوجي المعرفــي والثقــافي إلا أننــا مازلنــا نقــدم علــى ارتكــاب الأفعــال والســلوكيات اللاأخلاقيــة، لا تــزال العبوديــة موجــودة فــي بعــض أنحــاء العــالم والــدعارة والعنــف وأشــكال الاضــطهاد الــديني والعرقــي، ولا يــزال هنــاك احتمــال لحــدوث إبــادة نوويــة وانتشــار أوبئــة متعمــد حــدوثها والأســلحة البيولوجيــة والإرهــاب، إذن هنــاك خطــر حــدوث ضــرر كــارثي يــزداد مــع تطــور تقنياتنــا ومعرفتنــا التكنولوجيــة الهائلــة. وهكــذا، يتضــح أن الوضــع الأخلاقــي مقلــق حيــث إن وســائل تحســين القــدرات الأخلاقيــة التقليديــة مثــل الإرشــادات الأخلاقيــة الصــريحة والتوجيــه والتنشــئة الاجتماعيــة ومجموعــات رفــع الــوعي والأدب ووســائل الأعلام لم تعد كافية وسيزداد الأمر سوءا في المستقبل.

وبالتــالي، يعتقــد ديجرازيــا أنــه مــن الممكــن اللجــوء إلــى التحســين البيولــوجي الأخلاقــي قــائلا : " يمثــل الوضــع الأخلاقــي الــراهن إشــكالية كبيــرة وقــد تكــون الوســائل التقليديــة للتحســين الأخلاقــي غيــر قــادرة علــى تحقيــق تحســن مــرض، لهــذا تستحق إمكانية التحسين الحيوي الأخلاقي اهتمامنا المنفتح"(٣٩).

يواجــه تصــور التحســين البيولــوجي الخلقــي العديــد مــن الانتقــادات خصوصــا فــي إطــار العلاقــة بــين الحريــة والتحســين الخلقــي، لــذلك يمكــن طــرح التســاؤل التــالي : هــل هنــاك مكــان للحريــة فــي إطــار التحســين الحيــوي الأخلاقــي؟ يــرى جــون هــاريس إن الحريــة تضــفي علــي الســلوك الأخلاقــي قيمــة كبيــرة فــلا توجــد فضــيلة فيمــا يجــب علينــا فعلــه إذا لــم تتــوافر الحريــة علــى إتيــان الفعــل الأخلاقــي أو إتيــان الفعــل غيــر الأخلاقــي يقــول هــاريس: " المســافة بــين معرفــة الخيــر وفعــل الخيــر هــي منطقــة تســكنها الحريــة بالكامــل. معرفــة الخيــر هــو الاكتفــاء بــالوقوف

(39) Ibid, P. 362.

ولكن حرية هي كل شيء، بدون حرية لا يمكن للخير أن يكون خيرا وتختفي الحرية ومعها الفضيلة "[٤٠].

وهكذا، يقف هاريس ضد التحسين الخلقي قائلا : " لا أعتقد أنه سيكون من المنطقي المراهنة على التحسين الأخلاقي وضد تسريع قدرتنا على التعامل معه" [٤١] وذلك من أجل التمسك بحريتنا الثمينة وعلينا الاعتماد على التحسين المعرفي cognitive enhancement في إيجاد الحلول للمشكلات، إن العلم والابتكار وإنتاج المعرفة والتعليم هي أملنا في إيجاد حلول لأكثر مصادر الدمار الشامل تهديدا بالإضافة إلى كونها الشكل الوحيد المثبت من التحسين الأخلاقي حتى الآن. ويبرهن ريس على صحة موقفه بوجهة نظر مارتن ريس حيث إن الشر ليس هو المصدر الأكثر احتمالا للكارثة، فهناك تهديدات لا تخضع للتحسين الأخلاقي مثل الأمراض الجديدة وتغير المناخ والإهمال ...إلخ، ومن ثم يجب تبني أشكالا موثوقة من التحسين المعرفي بوصفها أفضل احتمالات الدفاع عن النفس بما في ذلك أي عنصر من عناصر الدفاع عن النفس الذي قد ينتج في النهاية عن التحسين الأخلاقي[٤٢].

وبالتالي، ينكر هاريس أن يتضمن التحسين الأخلاقي تدخلات تتجاوز التحسين المعرفي حيث يشتمل التحسين الأخلاقي بشكل أساسي على التحسين المعرفي، وذلك لأن السلوك الأخلاقي يتطلب القدرة على التمييز بين الصواب والخطأ – الوعي والقدرة العقلانية[٤٣]. إذن ما يذهب إليه هاريس وضع

(40) John Harris." *Moral Enhancement and Freedom* " , Bioethics,Vol.25, No.2, 2011,PP. 102-111, P.104.
(41) Ibid , P.111.
(42) Ibid , P.110.
(43) Ingmar Persson and Other. *"The Perils of Cognitive Enhancement and the Urgent Imperative to Enhance the Moral Character of Humanity*", Journal of Applied Philosophy , August 2008, Vol. 25, No. 3, PP. 162-177, P.174.

التحسين المعرفي أساسا للتحسين الأخلاقي من أجل الإبقاء على حريتنا التي نتمتع بها.

يختلف موقف كل من أنغماز بيرسون وجوليان سافوليسكو عن هاريس حيث يقرران ضرورة إجبار البشر على الخضوع للتحسين البيولوجي الأخلاقي خوفا من انتشار السلوك غير الأخلاقي بين البشر مما قد يؤدي إلى حدوث الدمار الشامل للبشرية، يلخصون أطروحتهم على النحو التالي(٤٤):

١- من السهل إحداث ضرر كبير أسهل من حدوث المنفعة.

٢- مع تقدم العلم الذي يمكن إحداثه بصورة أسرع من خلال التحسين المعرفي، يصبح من الممكن بشكل متزايد لمجموعات صغيرة من الناس أو الأفراد التسبب في أضرار جسيمة لملايين البشر، عن طريق – مثلا – أسلحة الدمار النووية أو البيولوجية.

٣- يجب الحذر حتى إذا كان عدد البشر غير الأخلاقيين ضئيل حيث إن وجودهم يكفي لحدوث ضرر واسع النطاق بأسلحة الدمار الشامل التي يمتلكونها، لهذا مازال الخطر قائما إذا لم يتم تحسينهم أخلاقيا بشكل إجباري.

٤- ولهذا فإن تقدم العلم وتسريع التقدم العلمي من خلال التحسين المعرفي يزيد من الخطر، ووجب استعمال التحسين البيولوجي الأخلاقي إجباريا.

يلخص بيرسون وسافوليسكو وجهة نظرهما في اعتقادهما أنه إذا تم تطوير التحسينات الأخلاقية الآمنة على الإطلاق، فهناك أسباب قوية بضرورة

(44) John Harris." *Moral Enhancement and Freedom* " , P.106.

استخدام التحسينات الأخلاقية بشكل إجباري... وهذا يعني أن التحسين الأخلاقي الأمن والفعال سيصبح إجباريًا.

يعتقد راكيك بضرورة الخضوع للتحسين الأخلاقي وذلك لأن الأشخاص الذين يعرفون ما هو صواب قد لا يفعلون ما هو صواب دائما، إن مجرد التحسين المعرفي غير كاف لمنع السلوك غير الأخلاقي الناتج عن ضعف الإرادة الإنسانية، وطالما يمكن أن يختار الناس بحرية الخضوع للتحسين الأخلاقي ولن يتم تقييد حريتنا بواسطته. يتضمن التحسين الأخلاقي الإجباري التنازل عن بعض الحريات إلا أن الإكراه لا ينطوي على خسارة الحرية. فقد يؤدي التحسين البيولوجي الأخلاقي إلى إلغاء حرية التحسين الأخلاقي أم لا، لكنه قد يؤدي في بعض الأحيان إلى ربح حرية من يُكرهون على الخضوع للتحسين البيولوجي الأخلاقي، حيث سيقل احتمال ارتكابهم لأعمال إجرامية ومن ثم لن ينتهي المطاف بهم في السجن. وبالتالي فإن الحرية التي تتيحها الحياة الملتزمة بالقانون تفوق تكلفتها حرية التدخل الإجباري(٤٥). وهكذا، يرجع السبب إلى إجبار البعض على التحسين البيولوجي الأخلاقي إلى أنه في حال جعل التحسين البيولوجي اختياريًا، أن من نرجح ارتكابهم للأفعال غير الأخلاقية ذات النتائج الكارثية قد لا يتطوعون اختياريا للخضوع للتحسين البيولوجي الأخلاقي.

ومن ثم، يقدم ديجرازيا إجابة للسؤال : هل من الخطأ تهديد الطبيعة البشرية ؟ مؤكدا أن تهديد الطبيعة البشرية غير مقبول أخلاقيا(٤٦).

(45) Michael J Segelid." *The Concise Argument Freedom and Moral Enhancement*" , Journal of Medical Ethics, Vol.40, No.4 (April 2014),PP.215-216, P.115.
(46) David DeGrazia. *Creation Ethics*, P. 83.

١- قد تؤدي التحسينات الوراثية إلى وجود كائنات تشكل تهديدا للإنسانية غير المحسنة والسبب إما لاعتقادهم أن الإنسانية غير المحسنة تتمتع بوضع أخلاقي أدنى أو لأن في إمكانهم السيطرة على البشر غير المحسنين.

٢- يتمتع ما بعد الأشخاص بوضع أخلاقي كامل لأنهم كائنات أخلاقية موثوق بها، على حين يتمتع الأشخاص غير المحسنين بوضع أخلاقي أضعف سواء من حيث مكانتهم وحقوقهم الأخلاقية.

٣- قد يؤدي تمتع ما بعد الأشخاص بوضع أخلاقي أعلى إلى استغلال البشر غير المحسنين ويتعرضون للتضحية بهم باسم تعزيز الصالح العام للمجتمع، مما يعني فقدنا للأمان الذي نتمتع به الآن لتمتعنا بوضع أخلاقي كامل حيث لا يوجد من أعلى منا في أي سمات إطلاقا.

٤- قد يتصرف ما بعد الأشخاص بشكل غير أخلاقي مع البشر غير المحسنين حيث يسيئون معاملتهم مما يشكل خطرا كبيرا، ويعتبر ذلك السلوك أكبر تهديداً يمثله ما بعد البشر الذين يتصرفون بشكل غير أخلاقي تجاه أبناء عمومتهم من البشر.

وهكذا، هل يرفض ديجرازيا التحسين؟ هل التحسين الوراثي إشكالية أخلاقية لأسباب مرتبطة بالهوية البشرية؟ هل يشكل التحسين الوراثي تهديدات غير مقبولة أخلاقيا للطبيعة البشرية وبالتالي الإنسانية نفسها؟ يجيب بالنفي، ولكنه يرى أن التنظيم المعتدل للتحسين الوراثي للبنية الجسدية والعقلية والتحسين الخلقي للإنسان شرطا كافيا لعدم رفض هذه التحسينات لأنه يقصد بمفهوم التنظيم المعتدل عدم القدرة على توريث التحسينات في المستقبل، حيث

يعد توريث التحسينات الوراثية مسألة خطيرة للغاية لمساهمتها في زيادة الفجوة بين من يملك الجينات المحسنة ومن لا يملك مثل هذه الجينات، ولذلك يري أن التحسين الوراثي مبرر أخلاقيا ويجب السماح به مع مراعاة جميع الاعتبارات القانونية والسياسية[٤٧].

(47) David DeGrazia. *Creation Ethics*, P. 90-92 .

سادسا: الخاتمة:

أولا : يتبنـي ديجرازيـا الأطروحـة البيولوجيـة حيـث تقـوم طبيعـة هويتنـا البشـرية علـى كوننـا حيوانـات بشـرية يعتمـد اسـتمرارها علـى اسـتمرار الحيـاة البيولوجيـة، وتعـد هويتنـا العدديـة شـرطا مسـبقا لهويتنـا السـردية حيـث نصـنع رواياتنـا الذاتيـة، إن خلـق الـذات والاسـتقلالية تتطلـب كيانـا أساسـيًا يـروي ويخلـق وهـذا الكيـان هـو الحيوان البشري.

ثانيـا: أتفـق مـع حجـة مسـتقبل مثـل مسـتقبلنا فـي رفـض الإجهـاض إلا فـي حـال خطـورة الحمـل علـى حيـاة الأم ووضـع الضـوابط الطبيـة والقانونيـة المنظمـة للإجهـاض، حيـث أعتقـد كمـا توضـح حجـة مسـتقبل مثـل مسـتقبلنا بحـق الجنـين التمتـع بمـا تتيحـه الحيـاة لهـذا الجنـين مـن فـرص مسـتقبلية، وأعـارض الإطـار التنظيمي الذي وضعه ديجرازيا لقبول حالات الإجهاض المختلفة.

ثالثـا : يجـب خضـوع التجـارب العلميـة علـى الأجنـة والبشـر للرقابـة القانونيـة الصـارمة وإصـدار القـوانين المنظمـة لمثـل هـذه التجـارب ومراعـاة الأبعـاد الأخلاقية مراعاة تامة.

رابعـا : أتفـق مـع ديجرازيـا فـي عـدم وجـود مخـاوف مـن التحسـين الـوراثي والخُلقـي علـى هويتنـا البشـرية، حيـث لـن تتغيـر هويتنـا العدديـة بوصـفنا حيوانـا بشـريا إلـى آخـر، ومـن ثـم وجـوب انفتاحنـا علـى اسـتخدام تقنيـات التحسـين الـوراثي والخُلقـي بشـرط مراجعـة ظـروف كـل حالـة علـى حـده ومعالجـة الفـوارق الجسـيمة فـي الوصـول إلـى الرعايـة الصـحية، مـع وجـوب تنظـيم كـل ذلـك فـي الإطـار القـانوني وتحت أشراف طبي صارم .

المصادر والمراجع

أولا : المصادر الأجنبية:

1- David DeGrazia. (2005). ***Human Identity and Bioethics***, Cambridge: Cambridge University Press.

2- ..... " ***The Harm of Death, Time-Relative Interests, and Abortion*** ", The Philosophical Forum, Inc., 2007.

3- ..... " ***Is It Wrong to Impose the Harms of Human Life? A Reply to Benatar*** ", Theor Med Bioethics, (2010),No.31.

4- ..... (2012). ***Creation Ethics: Reproduction, Genetics, and Quality of Life***, Oxford: Oxford University Press.

5- ..... " ***Moral Enhancement Freedom, and What We (Should) Value in Moral Behaviour*** ", Journal of Medical Ethics , Vol. 40, No.6, (June 2014).

ثانيا: المراجع العربية:

١- جـــلال الـــدين ســـعيد: معجـــم المصـــطلحات والشـــواهد الفلســـفية، دار الجنوب ، تونس، ٢٠٠٤.

٢- مـــراد وهبـــة : المعجـــم الفلســـفي، الهيئـــة المصـــرية العامـــة للكتـــاب، القاهرة، ٢٠١٦.

ثالثا: المراجع الأجنبية:

1- **David Benatar.(2006) . *Better Never to Have Been : The Harm of Coming into Existence*, Oxford: Clarendon Press.**

2- **John Harris.*" Moral Enhancement and Freedom"* , Bioethics,Vol.25, No.2, 2011.**

3-**Donald Marquis. *" Why Abortion is Seriously Wrong : Two Views "*, The Journal of Philosophy, Apr., 1989,Vol.86,No. 4.**

4-**Derek Parfit .*" Personal Identity "*, The Philosophical Review, Vol.80, No.1 (Jan.,1979).**

5- **Ingmar Persson and Other. *The Perils of Cognitive Enhancement and the Urgent Imperative to Enhance the Moral Character of Humanity*, Journal of Applied Philosophy , August 2008, Vol. 25, No.**

6- **Marya Schechtman.*" David DeGrazia, Human and Bioethics , Human Identity and Bioethics by David DeGrazia*, Ethics, Vol.116,No.2(Jan., 2006).**

7- **Michael J. Segelid. *The Concise Argument Freedom and Moral Enhancement,* Journal of Medical Ethics, Vol.40, No.4 (April 2014).**